المحاضرة9 طرائق صياغة الكلمة في العربية

تمهيد

الصياغة من الصناعة وصياغة كلمة تعني صناعتها، إلاّ أن الكلمات لا تُصنع من فراغ أو عدم ، بل إنّ لكلّ لغة من اللغات أصولها وقواعدها التي تنبثق منها، لذلك كانت طرائق صياغة الكلمة في العربية هي آليات التوليد والتنمية فيها، شرّح علماء العربية البنية من الحرف إلى الكلمة إلى الجملة، وعبّر ابن جنّي عن مهارة صانع العربية " الذي لمّا أراد صوغها وترتيب أحوالها هجم بفكره على جميعها، ورأى بعين تصوّره وجوه جملها وتفاصيلها.

فالألفاظ وليدة المعاني في أصل نشأتها، لذلك لا وجود للّفظ إلاّ إذا تحدّد معناه بين وقائع الاستعمال في حياة المتلاغين، وكلُّ لغة لمجموعة بشرية هي في حاجة مستمرّة لاستحداث (دوالّ / ألفاظ) جديدة مادامت المعاني في حياتها متجدّدة.

العربية لغة قياسية

ــ القياس آلة العربية القياس آلة العربية، فهو مثبّت نظامها وحافظ ثروتها وقد قال الكسائيّ إنّما النّحو قياس يتّبع و به في كلّ أمر ينتفع.

ــ التعريف اللّغوي للقياس

قول ابن الأنباري : " إعلم أنّ القياس في وضع اللّسان بمعنى التقدير، وهو مصدر قايست الشّيء بالشّيء مقايسة وقياسا قدّرته ، ومنه المقياس أي المقدار وقيس رمح أي قدر رمح ."
وعرّف ابن عصفور ت663 ـ القياس في لسان العرب بقوله: "هو علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكامه التّي ائتلف منها" جاء في التعريف اللّغوي للقياس قول ابن الأنباري : " إعلم أنّ القياس في وضع اللّسان بمعنى التقدير، وهو مصدر قايست الشّيء بالشّيء مقايسة وقياسا قدّرته ، ومنه المقياس أي المقدار وقيس رمح أي قدر رمح ." لا نكاد نفرّق بين النّحو والقياس لما بينهما من رباط وثيق ، سوى أنّ النّحو هو انتحاء سمت كلام العرب ، وابن أبي إسحاق الحضرمي ت117هـ " أوّل من بعج النّحو ومدّ القياس والعلل أمّا الخليل فذكر أبو سعيد السّيرافي أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي ت175هـ قد كان الغاية في استخراج مسائل النّحو وتصحيح القياس.

القياس التطبيقي الاستعمالي

قال أبو حاتم الرّازي أن للعربية " قانونا يُرجع إليه فيها، ومعيارا يعتبر به ومقياسا يقاس عليه فإذا شرد عنهم حرف أو اعوجّ عن سننه، أو اشتبه معناه رجعوا إلى قانونهم ، ووزنوه

بمعيارهم ، واستعانوا عليه بمقياسهم؛ فأقاموا درأه وقوّموا عوجه، لكي لا يبطل معاني الأسماء ، فتَمحق عن اللغة وتدرسُ ."

أهمية القياس

المتمسّك بالقياس كمن يكيل بالمكيال واعتماد المكيال حل للخصام والنزاع لذلك يعتبر" الرّأي القائل بأنّ اللغة لا تنمو إلاّ بالقياس رأيا مختارا." ولا يكون ذلك مباحا دون قيد أو شرط ، بل لابدّ له من ضوابط لكي ،لا تُفتح الأبواب لقوالب جديدة، بعيدة عن روح اللّغة وصيغها فتفيض عن حاجة المستعملين، والإكثار من الصيغ سبيل التّضخم والوفرة وعدم التّحكم، كما في العلوم الحديثة لا يتحدّث المختصّ في أيّ مجال علمي بدون تدقيق أو قياس ّ؛ وإن اختلفت الطّريقة من علم لآخر ، الهندسة ، الفيزياء ، البصريات ، الرّياضيات ، الطّب ، وكذا تعتمد بعض العلوم الإنسانية على القياس.

نظام التقليب لتفريع المعاني وقاعدة للاشتقاق والتوليد

كانت عمل الخليل هو حصر متن اللغة في خطّة حسابية دقيقة اعتمد فيها نظام التقليب (تقليب الثنائي والثلاثي والرباعي) وانتهي إلى قانون المهمل والمستعمل من اللّغة، تلاها بتدوين المستعمل الذي تحدّدت معانيه في العربية، معتمدا مخارج الأصوات معيارا للترتيب.

الصيغ الصرفية

ـ اختلاف الدلالات باختلاف الصيغ والأبنية في الجمع " فكلمة قوّة إذا جُمِعت على قُوات دلّت على القوات العسكرية، إذا جُمِعت على قِوى دلّت على سياسية، كلمة رسالة إذا جُمِعت على رسائل فهي دالة على البريد، إذا جُمعت على رسالات فهي للأديان، كلمة نادي جمعها على أندية فهي رياضية وعلى نوادي فهي الملاهي. وقد كانت ملاحظات عبد الواحد وافي في هذا السياق جديرة بالذكر منها :

ـ أنّ نظام جمع التكسير في العربية مُوسّع ، غنيّ ، متفرّد لا تُشاركها فيه أخواتها الساميات .

ـ الأصل الواحد في العربية تتوارد عليه مئات المعاني، بحركات بسيطة يتحكّم فيها الميزان الصرفي، وبذلك فإنّ البناء الواحد تشترك فيه الكثير من المعاني .

ـ الجذر والاشتقاق أساس متين من أسس العربية

الاشتقاق والجذر هما منبع الثروة والأصل الذي قام عليه أمر العربية برمّته، وقد استند العرب القدامى إلى نظرية دلالية مفادها أنّ كلّ جذر ثنائيا كان أو ثلاثيا أو رباعيا، يحمل معنى أصليا عاما، وأحيانا أكثر من معنى أصلي عام واحد. ويُقترح أن تسمّى هذه الظّاهرة بالاشتراك الجذري ولارتباط الألفاظ بنظام الجذور دلالة كبيرة، فهو يعني ثبوت الأصل الذي انطلق منه المعنى الأول الذي تتأسّس عليه الدلالة المركزية وله أهمية بالغة، فبالإضافة لما يقدّمه الجذر من خدمة لمستعمل القاموس، فإنّ له ميزة أخرى وهو أنّه يزوّد المعجميّ ب " بأداة فعّالة في

تيسير إمداد القارئ بالمعلومات الدّلالية، وكلّ مفردة في الأسرة اللّفظية تصاغ وفق وزن صرفيّ له معنى معلوما."

ولذلك تقوم فكرة الاشتقاق على توليد كلمة من كلمة مع تناسب بين المولّد والمولّد منه في اللّفظ والمعنى ومراعاة ترتيب الحروف الأصول بحسب القوانين السائدة في علم الصّرف.

كما أنّ فوائد الاشتقاق لا تعود على التوليد فحسب، بل تتعدّاه إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث أنّ الاشتقاق لا ينتهي عمله عندما تتم عملية الاشتقاق وتتكاثر المفردات وتلبّي حاجات المستعملين، أو حين ينجح في أن يقرّر تاريخ بضع كلمات قد أُخذت على إفراد.
فاشتقاق الألفاظ منفردة لا فائدة منه في حدّ ذاته، "فالعالم اللّغوي لا يهتم بالاشتقاق إلاّ ليجمع أكبر عدد ممكن من العمليات المعنوية المتشابهة بقصد أن يستخرج منها القوانين العامة التي بمقتضاها يتطوّر معنى الكلمات.
حاولنا ا، نبسط حديث الصياغة على القياس والاشتقاق باعتباره أهم رافد لتنمية العربية علما أن الارتجال والنحت هي آليات أخرى ولكنّها قليلة النفع كما أن التعريب هو تعريب للمقترض والدخيل ويعرّب القياس لأنّ ما قيس على كلام العرب هو من كلام العرب.
كما أنّ نمو اللغة الإبداعي فيكون عن طريق المجاز والتضمين وهو باب واسع من أبواب العربية والحديث فيه مبسوط في كتب اللغة .